

جامعة بغداد

مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية

الصراعات الاثنية، دراسة في المفهوم واشكال الصراع

علاء عبد الرزاق

الصراعات الاثنية، دراسة في المفهوم واشكال الصراع

علاء عبد الرزاق

Abstract

The topic area of that's paper dealing with Ethnic Conflict as concept and variety forms of that's concept, the main thesis of paper based upon main controversial question that's question dealing with how the ethnic diversity can produce different forms of ethnic conflicts, that's conflict may be limited to deprivation of different group from participate in power of any privileges as citizens, while other form may be represent to armed conflict, by the papers many of ethnic conflicts trigger at first with political dimension, marches, sanctions, and press, then turn if its failed to armed conflicts.

- 1- مفهوم الصراع
- 2- الصراعات الاثنية
- 3- اشكال الصراع الاثني

يتناول البحث مفهوم الصراع والصراع الاثني واشكال الصراع التي تتخذ ضمن النزاعات والصراعات الاثنية ويستند هذا البحث على فرضية اساسية وهي ان مفهوم الصراع قد اتخذ اشكالاً حديثة وجديدة في العقود الماضية وهو الامر الذي ادى الى تنوع المفاهيم والاشكال الخاصة به، وتشكل مادة الصراع الاثني مادة خصبة ومتنوعة وذلك لان ما من بلد يشكل

التنوع العراقي والديني والمذهبي ملمحاً أساسياً من ملامحه وتكوينه الا ويشهد نوعاً من الصراع المحتدم حيناً والخافت حيناً بين مكوناته الاثنية، وقد لا يكون هنالك ضرورة ان يكون الصراع الاثني مرتكزاً على اعمال عنف مسلح بل قد يتضمن ابعاداً تقوم على الاستبعاد والتهميش لمكونات اثنية بطرق تعتمد وسائل اقتصادية وثقافية واجتماعية تفرز وضعاً يؤدي الى حرمان هذه الاثنية او ذلك العرق من حقوقه المشروعة في التعلم وممارسة النشاط الاقتصادي الذي يرتضيه او المشاركة في السلطة بمختلف مستوياتها.

وعلى الرغم من ان التنوع الثقافي والذي يمثله وجود اعراق وأثنيات مختلفة ومتميزة يعد عامل غنى واثراء للهوية الثقافية والحضارية لأي شعب من الشعوب بل هو ضرورة للحياة كما هو التنوع البيولوجي بالنسبة للكائنات الحية الا ان تعمد بعض الانظمة السياسية والأيدولوجيات الشمولية التتكر لمثل هذا التنوع والاختلاف او محاولة طمس معالمه يفضي الى تعزيز وجوده وامتداده باليات وادوات تقوم على العنف، اي ان اساليبها الخاصة بؤاد التنوع العرقي تعني تعزيز التعصب العرقي واحتمال تحوله لصراع يقوم على لعبة صفرية بدلا من ان يكون عامل قوة ومنعة في بناء أي دولة أو مجتمع.

ولهذا جاء البحث ليقدم نوعاً من الاضافة في المفاهيم التي يتشكل منها الصراع، والصراعات الاثنية والاشكال التي اتخذتها الصراعات الاثنية في اكثر من مكان في العالم مع تبيان اوجه الشبه والاختلاف بين الحالات الخاصة بالصراعات الاثنية والتي يمكن ان تشكل في بعض الاحيان بمثابة قوانين عامة يمكن تعميمها في حالة وجود تنوع اثني وعرقي في بلد معين.

المبحث الاول

مفهوم الصراع:

تعكس أدبيات الصراع ثراءً واضحاً فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم الصراع، كما تتعدد أيضاً بؤر الاهتمام، ونقاط التركيز التي يوليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل. وفي إطار استعراض بعض التعريفات اللغوية التي تقدمها دوائر المعارف والقواميس اللغوية لمفهوم الصراع، فإن دائرة المعارف الأمريكية تعرف الصراع بأنه عادة ما يشير إلى "حالة من عدم الارتياح أو الضغط النفسي الناتج عن التعارض أو عدم التوافق بين رغبتين أو حاجتين أو أكثر من رغبات الفرد أو حاجاته"¹. أما دائرة معارف العلوم الاجتماعية فإن اهتمامها ينصرف إلى إبراز الطبيعة المعقدة لمفهوم الصراع، والتعريف بالمعاني والدلالات المختلفة للمفهوم في أبعاده المتنوعة. فمن المنظور النفسي، يشير مفهوم الصراع إلى "موقف يكون لدى الفرد فيه دافعٌ للتورط أو الدخول في نشاطين أو أكثر، لهما طبيعة متضادة تماماً"، وهنا يؤكد موراي على أهمية مفهوم الصراع في فهم الموضوعات المتعلقة بقدرة الفرد على التكيف الإنساني وعمليات الاختلال العقلي أيضاً². أما في بعده السياسي، فإن الصراع يشير إلى موقف تنافسي خاص، يكون طرفاه أو أطرافه، على دراية بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، والتي يكون كل منهما أو منهم، مضطراً فيها إلى تبني أو اتخاذ موقف لا يتوافق مع المصالح المحتملة للطرف الثاني أو الأطراف الأخرى.³

وأما الصراع في بعد الانثروبولوجي فيعني التنافس بين طرفين وهذين الطرفين قد يكونا فردين أو اسرتين أو ذريتين أو جنسين من الاجناس البشرية، او مجتمع كامل، وقد يكون الصراع بين طبقتين اجتماعيتين او فكرياً سياسياً او دينياً.⁴

وأما الجماعة الاثنية أو العرقية فهي الجماعة التي تتميز بجملة من الخصائص البيولوجية و اللغوية والنفسية والتي تجعلها بمثابة جماعة متميزة عن الجماعات الأخرى، ولعل هنالك ضرورة

¹ . "International Encyclopedia of the Social Sciences, (Later refferd to as IESS) .
edited by David L. Sills, The Macmillan Company and the Free Press, 1968, Vol. 3 .,
.pp.220-242

² . " The Encyclopedia Americana International Edition, " Danbury ,
.Connecticut: Gerolier Incorporated , 1992: 537

³ "International Encyclopedia of the Social Sciences., op.cit,pp:232-233

⁴ Ibid, p:234

ماسة لفهم التمايز والاختلاف بين الجماعات العرقية المختلفة دون ان تكون هنالك رغبة بإعلاء قيمة ومكانة عرق او اثنية على حساب الجماعات العرقية الاخرى.

يترسخ وجود الجماعة العرقية او الاثنية والصراع الاثني العرقي في اي دولة او مجتمع عندما تؤمن الجماعة العرقية او الاثنية بان هنالك ضرورة لان تكون جماعتهم العرقية تحظى بتقدير ومكانة عالية وقد يسعون هم بالمقابل للحصول على اعتراف دولي اي ان هنالك تلازم طردي بين المكانة الدولية والاقليمية للكيان الاقليمي وبين مكانة الشعب الذي ينتمي لهذا الكيان ويجسد هويته العرقية بما تحمله من رموز ثقافية ودينية. ومن المعروف ان الصراعات الاثنية تعمل على تقسيم المجتمعات سيما تلك التي تتكون من مجموعة من الاعراق والمجموعات الاثنية والدينية والمذهبية الى مجموعة من الهويات المتناثرة والمتنافرة.⁵

ولابد من التأكيد على الدور الذي يلعبه الاعتراف السياسي في بلورة الهوية العرقية وابرازها للوجود سيما في بلدان العالم الثالث على صعيد العلاقات بين الدولة والجماعة العرقية الموجودة على اراضيها سيما اذا كانت هذه الجماعة تشكل اقلية عددية في المجتمع، ومن خلال الاعتراف السياسي تحظى الجماعة العرقية بهوية عرقية متوائمة ومتجانسة، وقد تكون عملية بناء الهوية الجمعية عملية جامعة او مقتصرة على فئة محددة، وقد تدعي بعض الجماعات الاثنية او الدينية بان بلدا او اقليما معيناً هو بمثابة الارث التاريخي او الموطن الاصلي لهذه الجماعة وبالتالي فان على المؤسسات السياسية ان تعكس واقع التجانس القومي في مثل هذا البلد. وفي مقابل ذلك تطالب بعض الجماعات العرقية بالحق في ان تمثل ضمن البلد في وجود جماعة عرقية اكبر وبشكل متساو من ناحية توزيع الثروات او المشاركة في اليات الحكم، وبطبيعة الحال فان مثل هذا الاختلاف بين ما تحدده الجماعة العرقية الاكبر ومطالب الجماعات العرقية الاقل قد يؤدي إلى حالة من الصراع السياسي والتي تؤدي إلى هيمنة تامة من لدن الجماعة الاكبر وايجاد صيغة دستورية تفضي إلى ارساء قاعدة من المساواة في الحقوق بين مختلف الجماعات العرقية.⁶

⁵ J.Okamura,Situational ethnicity,Ethnic and Racial Studies,Volume, 4,ni.4,1981, . pp:452-465

⁶ Horowitz, Ehnic Groups in Conflict, Berkeley, California, University of California . Press, 1985, pp:55-92

ولابد من التذكير بحقيقة اساسية وهي ان فكرة ضم او عزل جماعة عرقية معينة لا يعتمد على النزاعات او الخلافات ضمن الجماعة الاثنية في الاطار النفسي اي في اطار علاقة الفرد المنتمي لجماعة عرقية صغيرة مع المجموع بل يعتمد على درجة الانسجام الموجود بين الجماعة العرقية والمحيط الاجتماعي الذي تتواجد فيه وحينما ينتمي الانسان لاقليم معين فهذا يوفر له شعور بالراحة والاطمئنان النفسي كونه منتم لوطن وارض يعيش عليها كما عاش عليها اجداده.

ولابد من القول ان هنالك عاملين اساسيين يرتبطان بالهوية العرقية وهما وجود مشاعر من العدا والبعضاء مستفحلة ومتقدة، بين مختلف الجماعات العرقية والاثنية وحينما تسعى الجماعات العرقية إلى تعزيز هويتها المميزة فهي تتخذ جملة من الخطوات المكملة التي تؤدي إلى الانفصال عن المجموع، وهو الامر الذي يترك تأثيراً كبيراً على العمل السياسي في البلاد، وحينما تتواجد جماعة غريبة تختلف في سماتها العرقية والدينية عن الجماعة الاصلية الموجودة في البلاد، ينشأ قدر كبير من التناقض والصراع مع الجماعة العرقية الاصلية وهو ما يولد الرغبة الحثيثة بتأكيد الهوية العرقية المتميزة والمختلفة، ويعد التجانس العرقي واحداً من اهم الاسباب التي تفضي لحالة من الانسجام وتقلل من مخاطر الصراع والتنافس بين العرقيات المختلفة والمتنافرة.⁷

وحينما تعاني جماعة عرقية من اي اضطهاد او اي شكل من اشكال التمييز فانها هنا تعمل على المطالبة بحقوقها على نحو شرعي، وبالتالي فان ما تسعى لتحقيقه جهة او جماعة معينة سوف يفضي الى فقدان الامتيازات التي كانت تتمتع بها جماعة اخرى. كما ان سعي الجماعات العرقية لإيجاد حالة من الشرعية لنضالها السياسي يؤدي إلى ابراز هويتها القومية، ولعل من السمات غير الواضحة للصراع العرقي او الاثني سعي جماعة عرقية معينة للهيمنة على بلد متعدد الاعراق، وفرض مشروع ايدلوجي يرتبط بهذه الهيمنة وبالتالي اتخاذ الصراع الاثني ابعاداً لا تتحدد بالصراع الاثني او العرقي بل بالسياسة العامة للبلاد.

⁷ . Tonkin .Macdonald and Champan(eds),History and Ethnicity,ASA Monographs, . 27, London,Routledge,1989,pp:78

ولابد من التذكير بان مفهوم سياسات الاثنية او العرقية قد ظهر في الولايات المتحدة في حقبة كانت فيه المطالب الاثنية والعرقية هاجعة ولم تكن بارزة للعيان بالشكل الذي ظهرت عليه فيما بعد، وكانت سياسات الاثنية تتمحور حول سؤال اساسي الا وهو (من هو؟ وما يريد) ولقد طرحت النظريات الخاصة بالصراع الاثني فكرة اساسية وهي ان تقوم الهيئة الحاكمة بإيجاد حالة من الاقناع لدى المواطنين بان هنالك سياسة عامة عادلة وغير منحازة لجهة على حساب جهة اخرى، وعن طريق اتباع هذه السياسة تتقلص ولحد كبير المطالب الخاصة بالوصول للسلطة من اجل تغيير واقع الاثنيات التي تحس بكونها مظطهدة.⁸ لعل من الضروري فهم طبيعة السلطة من اجل فهم واقع مطالب الجماعات الاثنية والعرقية التي تسعى للوصول اليها من اجل تغيير واقعها، إذ ان السلطة تعد بمثابة وسيلة واداة لضمان رفاهية وسلامة الجماعة العرقية، وهنا يصبح السعي للسلطة بمثابة وسيلة وهدف بحد ذاته، وحينما يكون النظام السياسي القائم نظاما شموليا وسلطويا لا بعد الحدود ولا يقر او يعترف بحقوق الجماعات الاثنية تصبح المطالبة بالحقوق الثقافية والسياسية الخاصة بالجماعات الاثنية منظوية على قدر كبير من الصراع العسكري التي تخوضه الجماعة العرقية من اجل المطالبة بحقوقها. ان السلطة قد تكون مطلوبة بحد ذاتها ليس بسبب النتائج المترتبة على الوجود بالسلطة والتي يمكن الحصول عليها خلال المدى القصير بل للأهداف الكبيرة المتوخاة من البقاء ولحقبة طويلة في هرم السلطة.

ان السلطة تعني فيما تعنيه وجود مكاسب يمتلكها القابض على السلطة ووجود عوامل تهديد متأتية من القوى التي تسعى للاستيلاء على السلطة وبطبيعة فان مثل هذا الصراع يأخذ ابعاداً تقوم على العنف والعنف الدموي في معظم بلدان العالم الثالث، وتتركس السياسات الاثنية حينما تقوم السلطة بمنح جماعة عرقية معينة قدرا كبيرا من الامتيازات التي تصبح جزءا من السياسة اليومية لبلد معين، وترتبط بالسياسة الاثنية جملة من القضايا منها النظام الانتخابي واعتماد لغة رسمية معينة في البلاد واهمال او عدم الاعتراف باللغات المحكية الاخرى، وكذلك اهمال اي جوانب تنموية في اقليم معين يضم مجموعة عرقية مختلفة او متميزة عن المجموع وهو ما يولد شعورا لدى ابناء هذه الفئة بالحرمان والاجحاف وبالتالي

⁸ J.Edwards, Language Society and Identity, Oxford, Basil Blackwell,1985,pp:23-46.

المطالبة بحقوقهم والسعي لان يكونوا مواطنين كاملي الاهلية في بلد يفرض عليهم جملة من الواجبات بدون ان يحصلوا على حقوقهم كاملة.⁹

وترتبط قضية الرغبة والسعي من اجل التفوق والاستعلاء بقضية الصراع الاثني سيما في البلدان التي تتشكل من قوميات او اعراق مختلفة يقطن كل واحد منها في رقعة جغرافية منفصلة او متميزة عن الاخرى وتكون القاعدة الخاصة بالحكم في ظل وجود الصراع الاثني والقومي هي ان وصول شخص من فئة اثنية او عرقية معينة لسدة الحكم يعني ان جماعته الاثنية او الدينية سوف تكون متمتعة بكل منافع السلطة وامتيازاتها، ويلاحظ ان مثل هذه المشكلة تحدث في البلدان التي تحررت من الاستعمار الانكليزي او الفرنسي في افريقيا خلال عقد الستينات من القرن العشرين، وكان السؤال الاساسي الذي يلي مرحلة الاستقلال هو من الذي سيتولى الحكم، وما هي الاليات التي ترافق مسألة انتقال الحكم والادارة من الدولة المستعمرة الى الفئة الاكبر عددا داخل المجتمع او الفئة التي تم الترويج لها بانها القادرة على ادارة دفة الحكم بعدها الاكثر ثقافة وتعلما والاصح انها الاكثر ارتباطاً مع الادارة الاستعمارية السابقة.¹⁰

وتكاد تكون الامثلة عديدة على الخشية حتى من فكرة الاستقلال بالنسبة لجماعات عرقية أحست انها سوف تستبدل بالاستقلال استعماراً خارجياً باخر داخلي، ففي نيجيريا على سبيل المثال خشى المسلمون وهم غالبية سكان الشمال النيجيري من ان مرحلة ما بعد الاستقلال سوف تشهد هيمنة الجنوبيين على مقاليد الحكم والادارة لانهم الاكثر ارتباطاً بنظام الادارة البريطاني، وكانت مثل هذه الخشية من سكان الجنوب حافزاً لابناء الشمال من اجل تعزيز هويتهم واحياءها بنحو وصل لدرجة التعصب وعد الاقليم بمثابة الوطن النهائي للمسلمين.¹¹

9 . J. Armstrong, Nations Before Nationalism (Chapel Hill, NC: University of North Carolina Press, 1982, pp:201-240

10 . The Nations invented, imagined, reconstructed? Millennium: Journal of International Studies, vol,20,no.3, Winter 1991,pp:353-368

11 . للتفصيل انظر، د. عبد الرزاق مطلق الفهد، تاريخ العالم الثالث، بغداد، مطابع التعليم العالي والبحث العلمي، 1989.

وهناك امثلة اخرى تماثل ما شعر به المسلمون في نايجيريا قد تجلت في خوف وخشية الاقليات العرقية في زنجبار من ان تؤدي الترتيبات السياسية بعد الاستقلال لحالة من اقصاء العرب وغيرهم وبالتالي هيمنة فئة عرقية واحدة على شؤون الحكم.

واما في سيريلانكا فقد كان البلد ولا يزال منقسماً بين السنهاليين والتاميل وبمجرد انتقال السلطة من يد الاستعمار البريطاني الى السنهاليين برزت المخاوف لدى التاميل والذين احسوا ان السلطة ستغدو بيد السنهاليين وبالتالي سيتم اعطاء الهوية السيريلانكية هوية سنهالية بحتة ويتم التجاوز على الهويات الاخرى او اهمالها.¹²

وحيثما تكون العلاقة بين الجماعات العرقية المختلفة مبنية على الشك والتنافر مع وجود عوامل مغذية نتيجة سياسات تم تطبيقها خلال الحقبة الاستعمارية يتوفر لدى الجماعة المهمشة طابع الخوف من اي علاقة مع المركز الجديد حتى وان كان مبنيا على دعوة الشراكة السياسية.

ولعل المثل العربي الاقرب لحالة قيام فئة عرقية او مذهبية بمحاولة صبغ البلد بسمااتها الخاصة هو ما جرى عليه الحال في لبنان إذ قام الموارنة بسعي حثيث من اجل ان تكتسب الهوية اللبنانية الطابع الماروني الخاص وتعود مطالبتهم هذه إلى عوامل تاريخية منها ما تعلق بهيمنتهم على جبل لبنان في العهد العثماني، وارتباطهم بالادارة الفرنسية خلال عقد العشرينات من القرن المنصرم وبالتالي سعوا لاقصاء المذاهب الاخرى التي يتكون منها لبنان، وبالمقابل تبني المسلمون الدعوة للقومية العربية والفكر الوحدوي والذي جعلهم في تماس مع الحركات الوحدوية في سوريا ومصر والعراق، ولقد ادى مثل هذا التنافر إلى حدوث ازيمات سياسية كثيرة في لبنان كان من محصلتها اندلاع الحرب الاهلية(1975-1991).¹³

وهناك امثلة عديدة على وجود عوالم مختلفة داخل البلد الواحد في اكثر من بقعة في العالم كما هو الحال في السودان والتنافر بين شماله وجنوبه والذي انتهى بالانفصال وموريتانيا والتنافر بين العرب والصحراويين، وفي الجزائر بين دعاة العروبة والبربر او الامازيغيين،

¹² . E.Gellener, Nations and Nationalism, Oxford, Basil Blackwell, 1983, pp:132-133 .

¹³ . للتفصيل عن الواقع التاريخي اللبناني والحرب الاهلية اللبنانية انظر:

وكان السؤال الاساسي الذي يطرحه ممثلو الجماعات العرقية عن مدى قيام الدولة بتمثيل مصالحهم وهويتهم وهل ان هوية الدولة هي هوية عربية اسلامية او هوية افريقية تراعي الاختلافات الموجودة في البنية المجتمعية للبلاد؟ وكان السؤال الذي يلي التساؤل حول هوية الدولة يتجلى بالسؤال حول من الذي يتولى الحكم بعد الاستقلال وشكل الحكم والية انتقال السلطة ومن هو الاكثر تمثيلاً في الجيش والذي يعد الاداة الاقوى من اجهزة السلطة الحاكمة والقادر على حسم الامور والتدخل لصالح هذه الفئة او تلك ونلاحظ مثلاً الدور الذي لعبه الجيش في نيجيريا في تعبئة المشاعر التي غذت الصراع الاثني والعرقى كونه جيش استحوذ فيه ابناء قبيلة الايبو الجنوبية على معظم مفاصل القرار فيه وبالتالي اضحى التمثيل غير المتوازن في الجيش سببا من اسباب الحرب الاهلية التي اندلعت في نيجيريا في العام 1966.¹⁴

وهناك صراعات اثنية تبنى على الصراع حول الهوية التاريخية للبلاد وتبيان احقية جماعة اثنية او دينية بالبلاد بعدها هي التي تمثل الاصل في حين ان الاعراق الاخرى هي اعراق وافدة، حصل وهذا يحصل في العلاقات بين المسلمين والهندوس في الهند او بين المسلمين الملايو والصينيين في ماليزيا، او بين البوذيين والمسلمين في بورما، وهنا تترادف مفاهيم مثل الهوية الاصلية مع مفاهيم مثل الهيمنة السياسية التي تسعى لتحقيقها فئة محددة قد تكون عرقية او اثنية وتعمل هذه الجماعة العرقية على الاستناد على مبررات تاريخية على وجودها منذ حقب بعيدة في هذا البلاد او تلك وبالتالي يحق لها دون غيرها تولى الحكم والاستئثار بمفاصله كافة. ولا تكتفي هذه الجماعة العرقية بالاستئثار بشؤون الحكم بل محاولة عد هويتها بمثابة الهوية الجامعة والشاملة مع ما تمثله من تناقض واختلاف عن الهويات الاخرى الموجودة في البلاد، ومما يلاحظه المنتبع ان الصراعات والحروب الاهلية التي نشبت في اكثر من بلد كانت حول الاحقية التاريخية او الاصل التاريخي لجماعة اثنية او دينية او مذهبية، ومما لاشك فيه ان ثيمة الهيمنة السياسية التي تسعى لتحقيقها جهة او مكون عرقى او ديني على حساب الجماعات الاخرى تبدو واضحة بشكل كبير في حقب الازمات

¹⁴ للتفصيل عن الواقع السياسي في نيجيريا والصراعات التي تلت الاستقلال، انظر، عمار حميد ياسين، تحولات النظام السياسي في نيجيريا، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة لكلية العلوم السياسية، 2003.

السياسية وفي المراحل التي تلي الاستقلال واثناء صياغة اي ترتيبات دستورية ترمي لرسم معالم هوية البلاد.¹⁵

ولعل من الاشكال الخاصة التي تتخذها قضية الصراع الاثني هو قيام الجماعات الاثنية التي تشعر بانها سوف تتضرر في حالة اعلان استقلال بلادها او تعمل على تهيئة الظروف لاعلان الانفصال عن البلد الام وذلك لإحساسها بان الترتيبات الدستورية التي سوف تلي الاستقلال تعني فيما تعنيه تعرضها لقدر كبير من التمييز او الشعور بالدونية اذا ما حصلت جماعة اثنية اخرى على حصة الاسد في اي ترتيبات سياسية جديدة، وبالتالي يتخذ الصراع العرقي اشده إذا ما قامت السلطات الاستعمارية بتقريب جماعة اثنية او ضمان ان تقوم هذه الجماعة بذات الدور الذي قامت به السلطات الاستعمارية بعد نيل الاستقلال، واحيانا قد تتخذ هذه الجماعات التي تشعر باحتمالية وقوع الضرر عليها في حالة نيل الاستقلال بجهد حثيث من اجل عرقلة الخطوات الاستقلالية، وهو الامر الذي يترك قدرا كبيرا من مشاعر الشك والارتياب بين الجماعات العرقية المختلفة التي يتكون منها بلد ما.¹⁶

ويمكن هنا الوصول لاستنتاج اساسي وهو انه في حالة وجود جماعة تشعر بان الاستقلال سوف يشكل لها بيئة ملائمة لممارسة دور سياسي كبير في ظل الاستقلال فهذا يعني سعيها للتسريع بالحصول على الاستقلال وبالمقابل فان الجماعات الاثنية التي تشعر بانها سوف تفقد الكثير من امتيازاتها حتى وان كانت الاغلبية العددية لديها فأنها سوف تشعر بان الاستقلال سوف يضر بموقفها ومصالحها وبالتالي تسعى اما لتأخير الاستقلال او الرغبة بالانفصال بدولة مستقلة، وقد تسعى إلى طرح شعارات تقوم على الاسبقية التاريخية او رفع شعار الوطن الاصلي لهذه الجماعة وبالتالي يكون لها الحق دون غيرها بالاستحواذ على السلطة.¹⁷

ولقد دلت التجارب التاريخية ان الجماعات الاثنية سواء كانت تتمتع بقدر عال من الثقافة او العلم او كانت متأخرة عن اللحاق بالركب العلمي لا ترغب في بداية الاستقلال بالتعاون مع

¹⁵ . انظر مثلا الجدل الذي حصل في العراق حول الديباجة الدستورية لدستور العام 2005 والذي كان مضمونه يحمل الاشارة لصيغة الاغلبية

¹⁶ . Armstrong, Nations before Nationalism, op.cit, p: 245 .

¹⁷ . J. Breuilly, Nationalism and the State, Manchester, Manchester University Press, 1982,pp: 1-41

المستعمرين او الحصول على ضمانات كافية منهم، وقد تسعى لطرح شعارات تقوم على ضرورة اجراء توازن عرقي اثني في مؤسسات الدولة مستقبلا، او تطبيق مثل هذا الاجراء كشرط اساسي للدخول في عملية سياسية تلي مرحلة الاستقلال، وقد يدخل الصراع العرقي الاثني مرحلة متأزمة حينما يقوم ممثلو الجماعة العرقية التي تشعر بانها قد تضررت جراء نيل الاستقلال بحمل السلاح من اجل تغيير موازين القوى او المطالبة بتمثيل اكبر في مؤسسات الدولة والامثلة عديدة على لجوء جماعات عرقية في اكثر من مكان في العالم لهذا الخيار.¹⁸

وتعكس قضية الكفاح من اجل الهيمنة او الاستحواذ على مقاليد السلطة ومحاولة عرقلة الحصول على الاستقلال والترتيبات الدستورية التي تجري في خضم عملية الحصول على الاستقلال، قذرا كبيرا من عدم الثقة بين المكونات الاثنية والعرقية التي تتكون منها البلاد، كما تعكس موقف الجهات التي تعد نفسها غير مهيئة للوصول للحكم، من عملية بناء السلطة بعد الاستقلال وهنا قد تقوم جملة من القوى المهيئة للامساك بمقاليد السلطة او تلك التي تعد نفسها بعيدة عن المشاركة بعد القوى الاستعمارية بمثابة قوة محايدة قادرة على ان تلعب دور الطرف الموازن في الصراع الاثني.¹⁹

ونستطيع ان نستنتج من تجارب كثير من الدول الاسيوية والافريقية ان هنالك عدم ثقة وشك في المؤسسات السياسية القائمة سيما اذا كانت ممثلة لجماعة اثنية عرقية على حساب الجماعات الاخرى ويصبح هنالك تشكيك وعدم ثقة بالادوار التي يمارسها السياسيون وبالمؤسسات الدستورية القائمة.

ولقد بين هذه الفكرة (مارفن روجرس) حينما أشار الى التجربة الماليزية بالقول: "ان الملايين كانوا مهياين نفسيا لتولي السلطة بعد الاستقلال، ولكنهم بالمقابل لم يكن لديهم القدرة الكافية على

¹⁸ B.Neuberger National Self Determination in Post Colonial Africa(Boulder, Co: . Lynne Rienner Publishers, 1986, p: 187,

¹⁹ . ويبدو ان مثل هذه النظرة تعكس ولحد كبير الجهد الذي تقوم به القوة الاستعمارية في زرع مشاعر الشك والارتياب بين المكونات المجتمعية في مقابل تحسين الصورة التي يحملها المواطن تجاه القوة الاستعمارية. للتفصيل انظر: عبد الرزاق مطلق الفهد، تاريخ العالم الثالث، مصدر سبق ذكره، ص: 297

ادارة مجتمع متعدد الاثنيات والاعراق واقامة المؤسسات الديمقراطية اللازمة لمثل هذا المجتمع.²⁰

كما وصف هدسون الطوائف اللبنانية والعلاقة التي تقوم بينها بانها علاقة قائمة على الشك المتبادل وعدم ثقة بالمؤسسات السياسية القائمة، وذلك لإيمان اللبنانيين بان هذه المؤسسات لا تمتلك من القوة والحيادية بحيث تكون ممثلة لكل اللبنانيين ومهيئة لحماية مصالحهم الخاصة.²¹

واما روبرت ميلسون فقد أشار إلى طبيعة العلاقة بين النيجيريين والذين غالباً ما يتكثرون لتأييد هذا السياسي او ذاك او يعمدون إلى استبعاد سياسي ما تبعاً لعرقه او المنطقة التي ينتمي اليها، وهذا ما يولد قدرا كبيرا من الاغتراب السياسي لدى المواطن العادي وابتعاده عن فكرة المواطنة والمشاركة السياسية الكاملة.²²

ولعل من النتائج المترتبة على سيادة مشاعر الشك والارتياب بين الاثنيات المختلفة هو نمو مشاعر الكراهية بين العرقيات التي يتكون منها بلد ما، وسوف يلعب عامل عدم الثقة والشك دورا كبيرا في تغذية مشاعر الحقد والخوف المتبادل بين ابناء العرقيات المختلفة. ولعل من الامثلة التي يمكن ان تطرح في هذا المجال ما فعله الصراع العرقي الديني بين التاميل والسنهاليين في سيريلانكا اذ جعل السنهاليين يتهمون التريويين التاميل بالسعي لإعطاء الطلبة التاميل درجات كاملة في الاختبارات الدراسية بدون ان يكون هؤلاء الطلبة مهياًين لمثل هذه الدرجات وذلك سعياً من التاميل بإيجاد حالة من التوازن بينهم وبين السنهاليين في نسبة الشهادات والخبرات الدراسية، ويقوم الملاويين بذات الشيء في ماليزيا بالنسبة للطلبة الملاويين لاعتقادهم بان الاثنيات الاخرى تقوم بذات الشيء بالنسبة للطلبة الذين هم من ذات العرق فكل شخص في البلد يقوم بتفضيل ابناء عرقه او مذهبه، وفي البلدان ذات الاعراق والاثنيات او المذاهب المختلفة يسود الاقتناع وبنحو لا يتطرق اليه الشك بان الموظفين او اولئك الذين يتقلدون وظائف عامة يعملون في الاعم الاغلب لصالح الفئات او الجماعات الاثنية التي ينتمون اليها ولا يعملون طبقا لمقتضيات المصلحة العامة. كما تغيب في ظل المجتمعات المتعددة الاعراق روح الحيادية والعمل بنحو غير منحاز وينظر إلى المؤسسات العامة على انها وسيلة لقيام الاثنية التي تهيمن على

20

21 . عادل مالك، حرب السنيتين وبعد، بيروت، دار سائر المشرق، 1986، ص:45

22 . عمار حميد ياسين؛ مصدر سبق ذكره

الوظائف العامة والمراكز المهمة بزيادة ثرواتها وتمتين مواقفها في السلطة وبالتالي تصبح المشاركة في العملية السياسية في مثل هذه الحالة قضية ملحة، ولن يعود من السهل قيام المؤسسات السياسية بأداء مهامها بالطريقة التي تلائم مطالب الجماعات العرقية المختلفة.²³

_ الاحصاء السكاني شكل من اشكال الصراع الاثني:

لعل من المسائل المرتبطة بالصراع الاثني والصراع حول الهوية الاختلاف حول اجراء او عدم اجراء الاحصاء السكاني في البلاد والذي يُعد بمثابة الدليل الذي تتمسك به كل جماعة اثنية لتبرير هيمنتها واستحواذها على السلطة، وقد يُعد الاحصاء السكاني نوعاً من انواع الصراع على الهوية سيما اذا كان لدى جماعة عرقية معينة زيادة في نسب الانجاب او تعتمد بشكل كامل على هجرة ابناء عرقها لإقليم معين وبالتالي يزيدون من حجم نسبتهم السكانية، كما ترتبط المخاوف من الاحصاء السكاني بالمخاوف من الانقراض او التهديد بالإبادة الجماعية، وتعتمد بعض الجماعات العرقية إلى رفع الارقام والاحصائيات الخاصة بعدد السكان رغبة منها في توسيع مديات مشاركتها السياسية، كما تعطي النتائج الخاصة بالإحصاء السكاني مؤشراً حول هوية البلد ومن الذي يشكل هذه الهوية ويمارس الدور الاكبر في البلاد.²⁴

وتخشى كل جماعة اثنية من زيادة النسب العالية لدى الجماعات العرقية الاخرى، وبالتالي تصبح الظروف والملابسات الخاصة بالإحصاء السكاني سبباً من اسباب زيادة التوتر بين الجماعات الاثنية المختلفة. وبطبيعة الحال تقدم الاثنيات المختلفة والمتصارعة في البلدان التي تشهد صراعاً عرقياً جملة من الادلة على تمتعها بالأغلبية العددية حتى وان اتت نتائج الاحصاء السكاني بمعطيات تناقض ما تذهب اليه الجماعة الاثنية، ونلاحظ مثلا ان الحكومة الموريتانية قد أخفت النتائج الخاصة بالإحصاء السكاني في موريتانيا والذي جرى في العام 1978 وذلك لان

Michael Brown, Causes and Regional Dimensions of International Conflict, in ²³ Michael Brown(editor), The International Dimensions of Internal Conflict, Cambridge Mass Press, 1996,pp:571-401

B. Salawu and A. O Hassan, Ethnic politics and its implications for the survival of. ²⁴ democracy in Nigeria , Journal of Public Administration and Policy Research Vol. 3(2) February 2011, pp. 28-33.

الاحصاء كشف عن تزايد نسبة الشعب الصحراوي القبائلي مقارنة بالعرب، كما نلاحظ ايضا ان المشكلة الاثنية لم تحل في تنزانيا منذ الاحصاء الذي جرى في العام 1978، كما بقيت الحكومات العراقية المتعاقبة ترفض ادراج بند القومية في اي احصاء سكاني جرى في البلاد منذ تأسيس الحكم الوطني في العام 1921 وذلك لأنها تشعر بان الاكرد يشكلون اغلبية عددية تفوق ما تقوم بادراجه البيانات الحكومية عن نسبهم السكانية في العراق، وهناك مثل اخر يتجلى بجمهوريات البلقان والمشاكل الاثنية والعرقية الكامنة وراء اجراء تعداد سكاني سيما اذا كان اجراء مثل هذا التعداد يؤدي إلى اثاره المشاكل العرقية والاثنية، كما تمتع السلطات اللبنانية عن اجراء تعداد عام في لبنان منذ نيل الاستقلال وذلك لما يثيره التغير الحاصل في نسب الطوائف التي يتشكل منها لبنان وبالتالي تغيير المعادلة السياسية التي يتكون منها البلد والتي استقرت على حالها منذ العام 1946.²⁵

وليس من المستغرب ان يكشف الاحصاء السكاني عن الطبيعة العرقية او المذهبية لأي فرد، ولعل من التجارب التاريخية التي رافقت قيام مشاكل عرقية جراء اللجوء لإحصاء سكاني ما جرى في الهند قبل الاستقلال اذ تم اجراء احصاء سكاني في منطقة البنجاب وهي منطقة تضم المسلمين والهندوس واتباع الديانة السيخية، وكان الصراع على اشده بين الهندوس والسيخ حول نسبة تمثيل كل طائفة والكثافة السكانية لابناء كل طائفة في منطقة البنجاب، وكيفية الرد على الاسئلة التي وردت في الاستبيان السكاني والتي اعطت للسيخ حق المطالبة والدعوة لانفصال اقليم البنجاب واعلانه دولة مستقلة. وواجه المسلمون في اقليم اسام البنغالي ذات المشكلة حينما اراد المسلمين بعد اجراء استفتاء سكاني اعلان اللغة الاسامية لغة رسمية وبالتالي التمهيد للانفصال عن اقليم البنغال ولكن نتائج الاستفتاء جاءت بنتائج مخيبة لأمالهم، وادت مطالبهم هذه إلى رد فعل عنيف ن لدن السلطات الحكومية ولم تتوقف اعمال العنف حتى تم منح الاساميين مقاعد اضافية في البرلمان الهندي.²⁶

²⁵ حول هذا الموضوع بالذات انظر: علاء عبد الرزاق، أزمة الهوية والاندماح الوطني في الوطن العربي العراق انموذجا، بغداد، الجامعة المستنصرية، بحوث المؤتمر السنوي لكلية العلوم السياسية، الجامعة المستنصرية، 2014

²⁶ Kanchan Chandra, The Transformations of Ethnic Politics in India, The Journal of Asian Studies, Volume (59) number(1), pp:26-29

وتؤشر الخلافات الخاصة بالإحصاء السكاني قدرة العرق او الاثنية على تحشيد قدراتها وإلى امكانية انقسام المجتمع بسبب الاحصاء السكاني وشعور كل فئة عرقية او اثنية بان هناك ضرورة لان تحصل هذه الجماعة على نسبة عالية من السكان سواء كا ذلك واقعيا او مبنيا على تزوير في الارقام والاحصائيات، ويمكن استنتاج المعادلة التالية من واقع اهمية الاحصاء السكاني في اي عملية سياسية وهي ان الانتخابات عبارة عن احصاء سكاني كما ان الاحصاء السكاني هو في واقع الامر عملية انتخابية.²⁷

أعدم التماثل والتطابق في المطالب الخاصة بالجماعات الاثنية

لابد من التأكيد على حقيقة اساسية وهي ان المطالب الخاصة بالجماعات الاثنية غير متماثلة ولا يمكن ان تكون متماثلة فبعض الجماعات الاثنية تسعى إلى تحقيق هيمنة سياسية في البلد الذي تتواجد فيه، وتسعى الاخرى إلى استبعاد الاطراف الاخرى من العملية السياسية او المشاركة مع الاطراف الاخرى، في حين تسعى بعض الجماعات العرقية والدينية والمذهبية إلى تحقيق قدر كبير من المساواة في العملية السياسية اي انها تسعى لان تمثل بشكل متساو ومتوازن في العملية السياسية، وإذا ما سعت الجماعات الاثنية للتمثيل او المشاركة في العملية السياسية فهذا يعني ان هناك قدرا كبيرا من عدم الثقة وامكانية لنمو مشاعر الشك والكراهية والتي تؤدي لمزيد من الصراعات الاثنية والعرقية، وبطبيعة الحال فان وجود نوع من التضيق والعزل السياسي لفئة معينة على اساس عرقي او ديني او مذهبي يعني ان هناك قدرا كبيرا من مشاعر الشك والارتياب والاتهامات المتبادلة سوف تنمو بين الجماعات العرقية التي يتكون منها بلد ما. وإذا ما اخذنا على سبيل المثال حالة البشتون او الباثان في افغانستان وهم شعب عدائي ومتعصب يشعر دائما بانه مؤهل للحكم ولكن لم تتح له الفرصة الكافية من اجل ان يتمتع بهذا الحق، وبالتالي لم يكن مطلب المشاركة السياسية او ايجاد توازن في السلطة هو ما سعى اليه ممثلوا الباشتون بل السعي للسلطة وبشكل كامل، وهو ما يدل على ايمانهم بان اي تساوي او توازن بينهم وبين الاخرين سوف يحول دون تحقيق مطامحهم في الوصول للسلطة والتحكم بمفاصلها بشكل كامل.

ولابد من التأكيد بان الصراع الاثني يقوم على وجود لعبة صفرية، ولكن هذه اللعبة الصفرية لا تنتهي دائما بخسارة الفريقين، فمطالب الاستبعاد التام من السلطة قد لا تكون مطلقة، كما ان مطالب المشاركة السياسية تبدأ او تتراوح من المطالبة بالمساواة او المشاركة السياسية إلى الرغبة

بالنفوق والاستعلاء او الرغبة بالانفصال واستبعاد الجماعات الاخرى، ولكن تبقى الحقيقة الاساسية ماثلة وهي انه لا يمكن الحصول على قدر معين من المعاملة التفضيلية او التمييز الذي تسعى للحصول عليه جماعة اثنية معينة الا في اطار من المساواة السياسية.

ان هرمية المطالب السياسية تكون نسبية في احيان كثيرة وقد يكون ما يشاهد او يلاحظ لا يحمل في طياته قيمة مطلقة ولكن القيمة الخاصة بالمشاركة السياسية تتحدد احياناً من خلال تقليل النسبة الخاصة بالطرف الاخر او الجهة الاخرى المشاركة في العملية السياسية.

وغالبا ما تصاغ المطالب السياسية في اطار من النسبية، كما يتم تقليل الطروحات الخاصة بامكانية منح كل المكونات الاثنية او العرقية الموارد والعوائد الخاصة بالثروة الوطنية والتي تكون ذات تأثير نسبي عليهم. ولا يتم التساؤل هنا حول (كم حصلنا، بل ما هي الفوائد المادية التي يمكن الحصول عليها جراء الانخراط في عملية تشاركية او قاعدة مشاركة في السلطة.

ان الموقف الخاص باي جماعة عرقية او مذهبية ابتداء من مطلب المساواة إلى مطلب التمييز او الانفصال والتي لا يمكن ان تتحدد بشكل واضح بل قد تكون متضمنة في ظل اكثر من مطلب وموقف. ونلاحظ مثلا بالنسبة لتاريخ استخدام اللغة في بلد مثل سيريلانكا والتي طرحت فيها قضية اعلان لغة جديدة تعرف باسم (ساواباشا) والتي تجمع بين المفردات المشتركة في اللغتين السنهالية والتاميلية، وقد طرح هذا المشروع في ذات الوقت الذي رفع فيه السنهاليين شعار سيريلانكا للسنهاليين فقط، وبدا مشروع سياسي يسعى لصبغ الهوية السيريلانكية بصبغة سنهالية بحتة.

ويمكن ملاحظة حقيقة اساسية تتعلق بطبيعة نظام الحكم وامكانية منح كل جماعة اثنية جملة من الحقوق والامتيازات واهيانا قد تواجه الجماعة الاثنية او المذهبية بجملة من الكوابح والعوائق والتي تمنعها من المشاركة الفعلية في السلطة، وتلعب المنافع والامتيازات والتي تمنحها السلطة لجماعة معينة او منع جماعة اخرى من المشاركة في السلطة دورا كبيرا في حجم ونوع المطالب التي ترفعها هذه الجماعة العرقية او تلك ويمكن الاستدلال على ذلك بواقع القومية الكردية في العراق قبل العام 2003 وبعد هذا العام وكيفية التحول الذي جرى في مطلب الاكراد.

ولابد من التأكيد بان الصراع الاثني قد جرى احتوائه في البلدان الديمقراطية او تلك التي كانت ذات باع طويل في اللجوء للأساليب الديمقراطية وذلك عن طريق العملية الانتخابية وعملية توازن القوى.

الاستبعاد السياسي وسيلة من وسائل الصراع الاثني:

تعمل بعض الانظمة السياسية على تطبيق اليات العزل السياسي والذي يعني حرمان فئة عرقية او مذهبية او دينية من حقوقها في المشاركة السياسية تحت ذرائع واسباب مختلفة لعل من اهمها السعي لايجاد قدر من التماثل والتوائم في البنية السياسية للبلاد ولما كان الصراع الاثني او العرقي لا يقوم على لعبة صفرية اي ان الصراع لا يفضي إلى اضمحلال عرق معين او فئائه ولكن قد يمكن دفعهم لتقبل حالة معينة يجدوا فيها انفسهم وقد استسلموا لحكم فئة عرقية او اثنية محددة وهنا يأتي دور التنشئة الاجتماعية والسياسية التي تسعى لغرسها الفئة الحاكمة والتي تبرز فكرة هيمنة فئة محددة على شؤون الحكم وبالتالي قد تدفع الاطراف والاثنيات الاخرى إلى تقبل هذه الهيمنة وكانها نوع من القدر المحتوم.

ولقد أشار عالم السياسة الايطالي موسكا لهذه الحقيقة إذ بين ان تغلب امة او قومية على قومية اخرى سوف يثير قدراً من الصراع القومي بين الجماعات الاثنية وفي حالة وجود عرق او اثنية ذات امتداد خارج البلد الذي تقطن فيه فهذا يعني ان الصراع الاثني في الداخل سيكون له تأثيرات اقليمية.(27)

ولقد استنتج موسكا بان كل نمط اجتماعي محدد سوف يفرز نمطا معيناً من الصراع العرقي او الاثني والذي يمكن ان يتمحور في اطار برنامج سياسي محدد، وهذا البرنامج السياسي قد يتمثل برغبة احد طرفي الصراع العرقي بطرح مشاريع اعادة ترسيم الحدود وصياغة مفهوم جديد للامة والشعب يختزل بموجبه حق المواطنة الجديد لفئة عرقية معينة لها اقليم جغرافي محدد. ومما لا يمكن اجتنابه هو الاتجاه نحو ايجاد قدر من التجانس بين الجماعات العرقية المختلفة الى الحد الذي يصبح فيه الحديث عن تعايش مستقبلي امراً مستحيلاً، وتشعر معها كل جماعة عرقية او اثنية بان من الافضل لها البحث عن تأسيس دولة مستقلة جديدة كمصير محتوم بدلا عن الاستمرار في الصراعات العرقية.*

Pyt DumaPoverty, relative deprivation and political.(27)

exclusion as drivers of violent conflict sub Saharan African ,Journal of World Affairs, Volume(2),

Number(2), 2006,p:59

وبطبيعة الحال يعكس الفشل الخاص باستمرار دولة متعددة الاجناس والاعراق والمذاهب كدولة واحدة متجانسة، الاخفاق في تطبيق سياسات متوازنة في التعامل مع ابناء هذه الاقليات والاعراق فضلا عن اللجوء لأساليب دموية في حل اي صراع اثني او عرقي الامر الذي ولد ذكريات مريرة لدى ابناء اثنية او مذهب معين وفي ذات الوقت رسخ مفهوم الفئة الحاكمة لدى فئة محددة والتي تشعر بان اي تغيير سياسي سوف يضر بمصالحها وترفض بأي شكل خضوعها لحكم فئات كانت لحقب طويلة محكومة حتى وان كان وصول هذه الفئات بالأساليب الديمقراطية.

ولقد أتبع بعض الأنظمة السياسية أساليب عديدة في ايجاد قدر من التجانس العرقي او الاثني في بلدانها وبالتالي استبعاد فئات عرقية اخرى وعلى هذا الاساس قامت حكومة سيريلانكا على سبيل المثال بحرمان التاميل من الجنسية السيريلانكية في اعلام 1949، وقصرها على السنهاليين فقط، واتبعته الحكومة الماليزية ذات الامر في بداية مرحلة الاستقلال اذ سعت لحرمان الهنود والصينيين من الجنسية الماليزية وقصرها على شعب الملايو فقط، ولقد أدت

السياسات التي سعت لاتباعها سيريلانكا الى رغبتها بترحيل التاميل وهم بطبيعة الحال من اصل هندي الى الهند اذ تعدها بلدهم الاصلي واسلوب التهجير والترحيل واسقاط الجنسية اساليب تتبعها الانظمة ذات التوجه الفاشي والتي تسعى لايجاد مفهوم يمكن ان يسمى بمفهوم النقاء العرقي، وحصلت مثل هذه الحالة بالنسبة للصينيين في فيتنام، والاكراد اللور في العراق، والبنغاليين في بورما ومن ثم المسلمين خلال السنوات الاخيرة والاسيويين من اوغندا، وبطبيعة الحال يرافق الابعاد حالات من الاضطهاد والقهر ونزع الاموال والممتلكات.

وغالباً ما ترفع شعارات في اوقات الازمات العرقية والدينية تسعى إلى الربط بين العنف والجهود المبذولة من اجل اجلاء وابعاد جماعات معينة بمعنى ان هنالك جهد اعلامي تتم ممارسته ضد جماعة عرقية معينة ويتم احياناً اعادة كتابة التاريخ الرسمي بحيث يصبح ابناء اقلية عرقية او دينية او مذهبية غرباء في وطنهم او انهم انتقلوا اليه من بلدان اخرى غالباً ما تكون هذه البلدان ذات عداة تاريخي مع البلد الاصلي ولقد حصلت مثل هذه الحملات الاعلامية بالنسبة لتهجير الاكراد اللور في العراق والمعروفين بالفيلية والذين نسبوا في اصولهم لايران في الوقت الذي كانوا فيه مواطنين عراقيين اصلاء.

كما حصلت مثل هذه الحملات الاعلامية بالنسبة للبنغاليين والذين رفضوا فرض اللغة الاسامية عليهم وتم الترويج بان البنغاليين غرباء ومقيمين غير اصلاء في البلاد، وبالنسبة للمسلمين في الهند والذين يواجهون بين الفينة والاخرى موجات من العداة والكراهية وترفع ضدهم شعارات تنادي بان الهندوس لوحدهم هم مواطني الهند الاصليين وبالتالي فان المسلمين هم غرباء طارئین وغالباً ما يرفع شعار "ايها المسلمون اخرجوا من الهند" وبطبيعة الحال كان رفع مثل هذه الشعارات مقروناً بموجات من العنف والتهجير.

وتتبع الدول ذات المكونات العرقية والدينية المتعددة جملة من الاساليب والاليات التي ترمي لتقليص الاختلافات الاثنية والعرقية، وذلك عن طريق فرض هوية قومية واحدة على كل المكونات والاعراق التي يتكون منها البلد واجبار الاخرين على الاعتراف بان هذه الهوية هي هوية لكل سكان البلاد اي يتم الاعتراف بتفوق وتميز الهوية الخاصة بالأغلبية، وفي هذه الحالة يُعد المنتمين للأعراق والمكونات الاخرى بمثابة ضيوف على السكان الاصليين والذين يمثلون الاغلبية، وغالباً ما يستعمل لفظ الضيوف في مخاطبة الجماعات الاثنية والتي يراد منها ان تغادر البلاد وتبحث عن اوطان بديلة. ان وجود حالة يكون فيها المواطن ضعيفاً على بلاده والتي قضى فيها ابائه عقود طويلة تدفع فيما بعد لبروز ازمة اقليمية او دولية تتمثل بوجود لاجئين ومهاجرين وليس المهم بعد ذلك ان يخرجوا من البلاد بطريقة معينة او تحديد الوقت اللازم لخروجهم.

والواقع ان الرغبة في استئصال اي نوع من انواع الاختلاف والتمايز في اي بلد يبدو واضحاً بشكل كبير في البلدان المتنوعة والتي تضم اكبر عدد من المجموعات العرقية والاثنية وتشعر بعض الجماعات العرقية بان من الافضل لها ان تعيش في ظل وضع مريح لها في حالة عدم وجود شعوب او جماعات اخرى غريبة عنها، وغالباً ما توصف المحاولات الخاصة بفرض التجانس القومي او المذهبي بانها محاولة للعودة إلى وضع سابق كان فيه البلد متجانساً او ساعياً للحفاظ على وضع يكون فيه قدر كبير من التجانس والتمائل. وتشكل بعض الجماعات العرقية او الاثنية في واقع الامر جزءاً منفصلة عن المجموع السكاني للبلاد كما تسعى بعض الجماعات لان تلتئم في اطار جماعة متجانسة ومتلاحمة اي تبحث عن وضع تفترض انه كان موجوداً في حقبة ما من الماضي والواقع التاريخي يشهد ان ليس هنالك بلد يتمتع بحالة من التماثل العرقي او الديني او المذهبي وبالتالي فان اي بلد يسعى لفرض سياسة قسرية ترمي لصهر المكونات العرقية والدينية يرمي لايجاد وضع لم يكن معروفاً في تاريخه القريب او البعيد حتى. (28)

(28) علاء عبد الرزاق، مسلمو بورما، حرب اباد و تحدي وجود، ورقة بحثية مقدمة لقسم ادارة الازمات، مركز الدراسات الاستراتيجية جامعة بغداد، نيسان، 2015

ولابد من القول ان المطالب التي تدفع الجماعات العرقية او الاثنية للمطالبة بحقوقها تستند على معايير وأسس اخلاقية وتستند هذه المعايير الاخلاقية على محاولة للتذكير بمبادئ المساواة الكاملة في الحقوق والواجبات في حالة الانحراف عن هذا المبدأ وتطبيقاته. ان الاسس الاخلاقية التي تكمن وراء مطالب الجماعات الاثنية تكمن في بحث الشرعية اي السعي لإيجاد مبررات شرعية في الاقليم الذي يضم الجماعة الاثنية او العرقية، وبطبيعة الحال فان هذه الاسس الشرعية تتجسد في محاولة تغيير واقع غير متساوٍ في الوضع القانوني الخاص بجماعة اثنية في اقليم معين.

ومن اجل فهم مصطلح شرعية الجماعات الاثنية أو شرعية مطالبها هنالك ضرورة لربط مطالبها بالملكية او الرقعة الجغرافية التي تدعي امتلاكها فشرعية مطالب جماعة اثنية تنطلق أساساً من امتلاكها رقعة ارض تعد نفسها مرتبطة بها في بلد معين، وتتوائم هذه الهوية الاثنية مع هذا الاقليم وارتباط الاقليم او الارض بالعرق او الاثنية تدفع المنتمين لهذه العرقية لمخاطبة الغرباء بالقول: " ان اولئك الغرباء عنا في العرق واللغة لا يحق لهم تملك ارضنا او المكوث فيها" ولا تعد الارض هنا بمثابة رقعة جغرافية بإطارها المادي فحسب بل تمثل مظهراً للوجود القومي وميداناً

للبيئة الاجتماعية التي تعيش عليها الاثنية او الجماعة العرقية وبالتالي تبحث الجماعات العرقية او المذهبية عن شرعيتها بمحاولة استبعاد اي جماعة عرقية اخرى تشاركها العيش على ذات الارض التي يقطن عليها.

وهناك وسائل اخرى تتعلق بالصراع الاثني تتجلى بتطبيق بعض البلدان لسياسة تعرف باسم التخطيط الاثني والذي يوصف في احيان كثيرة بانه الجانب الاسوأ من التخطيط والذي يقوم على اتباع نظام سياسي ما جملة من الاجراءات التي ترمي لتغيير الطابع السكاني في منطقة او رقعة جغرافية محددة تقطنها جماعة اثنية معينة فيتم في احيان كثيرة التضييق على وجود هذه الجماعة ومنعها من التوسع المكاني او انشاء مراكز دينية او ثقافية او امتلاك اراضي جديدة وبالتالي تدفع هذه الاجراءات وامثالها ابناء هذه المجموعة الاثنية الى الهجرة او المطالبة بتطبيق اجراءات اكثر عدلا في تطبيق سياسات تخطيط المدن.(29)

(29). اتبعت الحكومات العراقية ولا سيما في الحقبة الممتدة بين العام 1968-2003 سياسة التخطيط الاثني اذ قامت باجلاء الاكرد من مناطقهم وتوطين العرب بدلا عنهم أو محاولة احاطة بغداد بحزام امن مكون من الجماعات التي تعد مؤيدة عشائريا ومذهبيا للنظام.

الخاتمة والاستنتاجات

يمكن القول ان هنالك ابعادا واشكالا مختلفة للصراع الاثني او العرقي وهذه الابعاد والاشكال تتنوع بحكم تنوع المجتمعات الانسانية والارث التاريخي الذي تنوء بحمله ولا بد من تقرير حقيقة أساسية وهي عدم وجود مجتمع انساني متماثل ومتشابه في مختلف صنوفه واشكاله فالاختلاف والتمايز ميزة وصفة ملازمة للطبيعة الانسانية، على ان التعامل مع هذا الاختلاف يختلف بحسب البيئة السياسية المتحكمة وبحسب الظروف التاريخية التي شكلت الوجود القومي والديني لبعض الجماعات الاثنية والدينية ولا ننسى العامل الخارجي في تغذية عوامل الصراع والتي تقضي إلى التعامل بمعايير من التمييز والتفرقة بين مكونات الشعب الواحد فيتم افساح المجال لفئة محددة ومنحها امتيازات عديدة تبدأ بالتعليم ولا تنتهي بالجيش وتسهم مواقع قيادية في الادارة

والمؤسسات السياسية وبالتالي تجد الفئات الأخرى داخل البلاد بان هنالك عقبات كثيرة بعد الاستقلال تحول بينها وبين تولى مناصب سياسية ان لم تجد نفسها محرومة كلياً من حقوق المواطنة في بلدها.

وتدفع جملة من العوامل الفكرية إلى تعميق الصراع الأثني وذلك عن طريق صياغة هوية قد تكون مستعارة من سرديات تاريخية تغرس في نفوس النشئ وتلقن مبادئ تقوم على حصر تمثيل الهوية الوطنية او القومية لبلد ما بفرقة محددة ويتم التعامل وفق مناهج دراسية وتربوية مع الآخرين على انهم غرباء في بلدهم وبالتالي يدفع ذلك باي بلد اما لاتباع سياسة التهجير القسري أو الدخول في اتون صراع عسكري يدفع للتقسيم أو محاولة تغيير الطابع الدستوري للبلاد وذلك عن طريق تغيير النظام الواحد لنظام فيدرالي او كونفدرالي اذا ما استحال التعايش بين المكونات المجتمعية في المستقبل.

ان اشكاليات الصراع الأثني تتعلق بدرجة كبيرة بالنسب السكانية لكل جماعة اثنية او مذهبية وغالباً ما يتم اللجوء للإحصائيات السكانية من اجل كسب شرعية الصراع الأثني ويجري في بعض الاحصائيات المبالغة في التعداد السكاني لجماعة دينية او عرقية تسعى لتضخيم دورها او لتهميش الجماعات الأخرى.

ولا يمكن لمواجهة اي نوع او شكل من اشكال الصراع الأثني بالتشدد في مواجهة مطالب الجماعات الاثنية او الدينية كما يفترض ان لا يتم اللجوء للقوة الخارجية من اجل تدعيم مطالب داخلية كما ان اعتماد اسلوب تربوي يؤدي لقمع مشاعر الاقليات او الجماعات الاثنية على نحو يكبت او يغمط من مشاركتها في الحياة الثقافية للبلاد يفضي لمزيد من التعصب القومي وزيادة في المطالب الخاصة بمنح الاستقلال او الانفصال للجماعات العرقية المتنافرة.